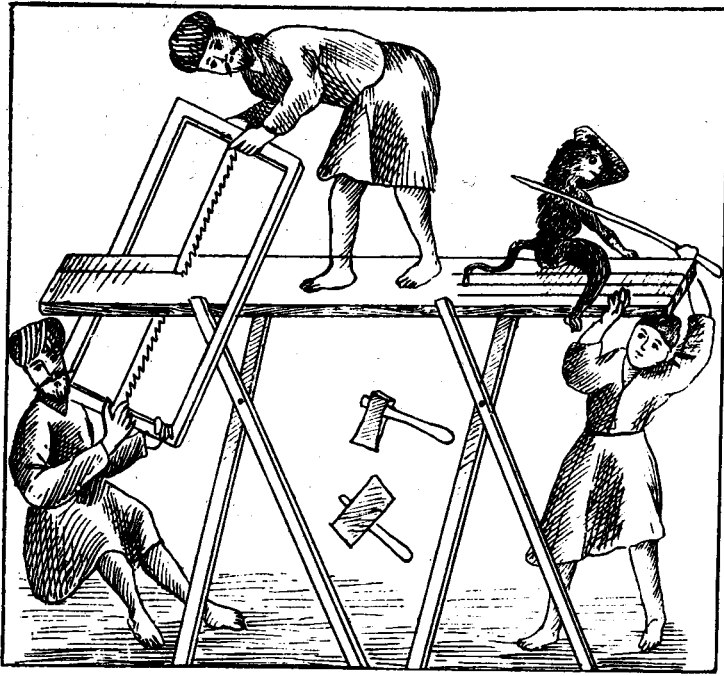


فقال دُمْنَةُ يَوْمَ مَا لِأَخِيهِ كَلِيلَةُ : يَا أَخِي مَا شَأْنُ الْإِسْدِ مُقِيمًا مَكَانَهُ لَا يَبْرَحُ وَلَا يَنْشَطُ ، قَالَ لَهُ : كَلِيلَةُ مَا شَأْنُكَ أَنْتَ وَالْمَسْأَلَةُ عَنْ هَذَا ، نَحْنُ عَلَى بَابِ مَلِكِنَا آخِذِينَ بِمَا أَحَبَّ وَتَارِكِينَ مَا يَكْرَهُ وَلِسْنَا مِنْ أَهْلِ الْمَرْتَبَةِ الَّتِي يَتَنَاوَلُ أَهْلُهَا كَلَامَ الْمُلُوكِ وَالنَّظَرُ فِي أُمُورِهِمْ ، فَأَمْسِكَ



القرود راكباً على الخشبة والنجار يضربه (ش ٢٣)

عن هذا واعلم أنه من تكلف من القول والفعل ما ليس من شأنه أصابه ما أصاب القرود من النجار ، قال : دِمْنَةُ وكيف كان ذلك ؟ قال كَلِيلَةُ : زَعَمُوا أَنَّ قِرْدًا رَأَى نَجَّارًا يَشُقُّ خَشْبَةً وَهُوَ رَاكِبٌ

عليها وكلما شقَّ منها ذراعاً أدخل فيها وتداً فوقب ينظرُ إليه وقد أعجبه ذلك ، ثم إنَّ النِّجَارَ ذهبَ لبغضِ شأنه فقام القردُ وتكلَّفَ ما ليس من شأنه فركبَ الحشبةَ وجعلَ ظهره قِبَلَ الوتدِ ووجهه قِبَلَ الحشبةِ فتدلى ذنبه في الشَّقِّ ونزعَ الوتدَ فلزِمَ الشَّقُّ عليه فكاد يُغشى عليه من الألم . ثم إنَّ النِّجَارَ وافاه فأصابه ^(١) على تلك الحالة فاقبلَ عليه يضربه . فكان مالمقي من النِّجَارِ من الضربِ أشدَّ ممَّا أصابه من الحشبةِ . قال دمنة : قد سمعتُ ما ذكرتَ ، ولكن أعلمُ أنَّ كلَّ من يدنو من الملوكِ ليسَ يدنو منهم لبطنه وإنما يدنو منهم لیسرَّ الصديقِ ويكبت ^(٢) العدو ، وإنَّ من الناسِ من لا مروة له وهم الذين يفرحون بالقليلِ ويرضون بالدُّونِ كالكلبِ الذي يُصيبُ عظماً يابساً فيفرحُ به ، وأمَّا أهلُ الفضلِ والمروءةِ فلا يُقنعهم القليلُ ولا يَرْضون به دُونَ أَنْ تَسْمُو ^(٣) بهم نفوسهم إلى ما هم أهلُ له وهو أيضاً لهم أهلٌ كالأسدِ الذي يفتريسُ الأرنبَ فإذا رأى البعيرَ تركها وطلبَ البعيرَ ، ألا ترى أنَّ الكلبَ يُبصص ^(٤) بذنبه حتى

١ - أصابه : وجده .

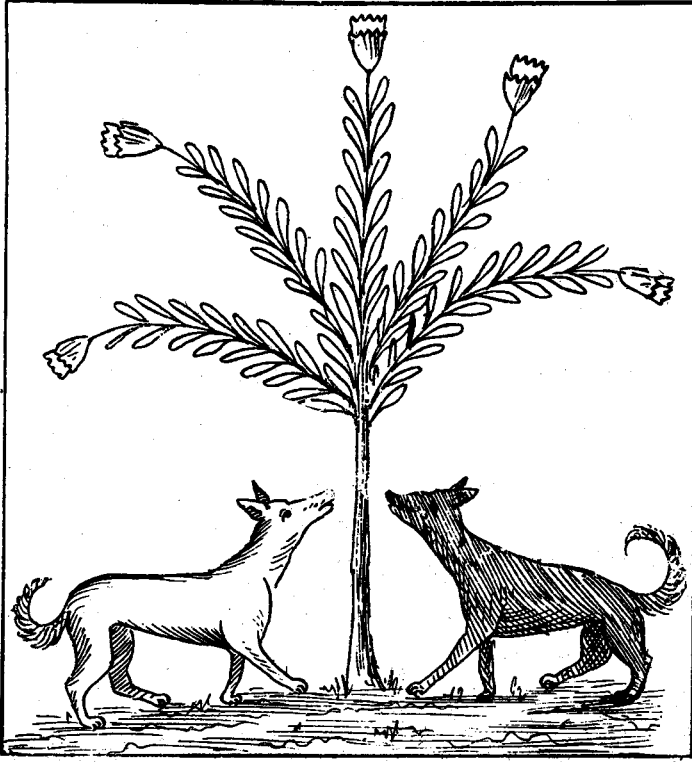
٢ - يكبت : يذل ويقهر .

٣ - تسمو : تعلو .

٤ - يبصص بذنبه : يحركه .

تُرْمَى لَهُ الْكِسْرَةُ وَأَنْ الْفِيلَ الْمُعْتَرَفَ بِفَضْلِهِ وَقُوَّتِهِ إِذَا قَدَّمَ إِلَيْهِ
عَلْفُهُ لَا يَعْتَلِفُهُ حَتَّى يُمَسِّحَ وَجْهَهُ وَيُتَمَلَّقَ لَهُ فَنُ عَاشَ ذَا مَالٍ
وَكَانَ ذَا فَضْلٍ وَإِفْضَالٍ عَلَى أَهْلِهِ وَإِخْوَانِهِ فَهُوَ وَإِنْ قَلَّ عُمرُهُ طَوِيلُ
الْعُمُرِ ، وَمَنْ كَانَ فِي عَيْشِهِ ضِيقٌ وَقَلَّةٌ وَإِمْسَاكٌ عَلَى نَفْسِهِ وَذَوِيهِ
فَالْمَقْبُورُ أَحْيَا مِنْهُ ، وَمَنْ عَمِلَ لِبَطْنِهِ وَقَنَعَ وَتَرَكَ مَا سِوَى ذَلِكَ
عُدَّ مِنَ الْبَهَائِمِ . قَالَ كَلِيلَةُ : قَدْ فَهِمْتُ مَا قُلْتَ فَرَاغْتُ عَقْلَكَ وَاعْلَمْ
أَنْ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مَنْزِلَةٌ وَقَدْرًا فَإِنْ كَانَ فِي مَنْزِلَتِهِ الَّتِي هُوَ فِيهَا
مُتَمَاسِكًا كَانَ حَقِيقًا أَنْ يَقْنَعَ ، وَلَيْسَ لَنَا مِنَ الْمَنْزِلَةِ مَا يَحِطُّ حَالُنَا
الَّتِي نَحْنُ عَلَيْهَا ، قَالَ دِمْنَةُ : إِنَّ الْمَنَازِلَ مُتَنَازِعَةٌ مُشْتَرَكَةٌ عَلَى قَدَرِ
الْمَرْوَةِ فَالْمَرْءُ تَرْفَعُهُ مَرْوَةٌ مِنْ الْمَنْزِلَةِ الْوَضِيعَةِ إِلَى الْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ ،
وَمَنْ لَا مَرْوَةَ لَهُ يَحِطُّ نَفْسَهُ مِنَ الْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ إِلَى الْمَنْزِلَةِ الْوَضِيعَةِ ،
وَإِنَّ الارتفاعَ إِلَى الْمَنْزِلَةِ الشَّرِيفَةِ شَدِيدٌ وَالانْحِطَاطَ مِنْهَا هَيِّنٌ
كَالْحَجَرِ الثَّقِيلِ ، رَفَعَهُ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى الْعَاقِقِ عَسِيرٌ وَوَضَعَهُ إِلَى
الْأَرْضِ هَيِّنٌ ، فَنَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نَرُومَ مَا فَوْقَنَا مِنَ الْمَنَازِلِ وَأَنْ
نَلْتَمِسَ ذَلِكَ بِمَرْوَتِنَا ثُمَّ كَيْفَ نَقْنَعُ بِمَنْزِلَتِنَا وَنَحْنُ نَسْتَطِيعُ
التَّحَوُّلَ عَنْهَا ، قَالَ كَلِيلَةُ : فَمَا الَّذِي اجْتَمَعَ عَلَيْهِ رَأْيُكَ ؟ قَالَ دِمْنَةُ :
أُرِيدُ أَنْ أَتَعَرَّضَ لِلْأَسَدِ عِنْدَ هَذِهِ الْفُرْصَةِ لِأَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ لِي أَنَّهُ صَعِيفٌ

الرَّأْيِ وَلَعَلِّي عَلَى هَذِهِ الْحَالِ أَدْنُو مِنْهُ فَأُصِيبَ عِنْدَهُ مَنْزِلَةً وَمَكَانَةً ،
 قَالَ كَلِيلَةُ : وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّ الْأَسَدَ قَدْ التَّبَسَّ عَلَيْهِ أَمْرُهُ ، قَالَ دَمْنَةُ :
 بِالْحَسِّ وَالرَّأْيِ أَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُ فَإِنَّ الرَّجُلَ ذَا الرَّأْيِ يَعْرِفُ حَالَ



(ش ٢٤) كَلِيلَةُ وَدَمْنَةُ يَتَجَاذِبَانِ أَطْرَافَ الْحَدِيثِ

صَاحِبِهِ وَبَاطِنَ أَمْرِهِ بِمَا يَظْهَرُ لَهُ مِنْ دَلَالِهِ وَشَكْلِهِ ، قَالَ كَلِيلَةُ :
 فَكَيْفَ تَرْجُو الْمَنْزِلَةَ عِنْدَ الْأَسَدِ وَلَسْتَ بِصَاحِبِ السُّلْطَانِ وَلَا لَكَ
 عِلْمٌ بِخِدْمَةِ السُّلَاطِينِ ، قَالَ دَمْنَةُ : الرَّجُلُ الشَّدِيدُ الْقُوَى لَا يُعْجِزُهُ

الْحِمْلُ الثَقِيلُ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ عَادَتُهُ الْحِمْلُ ، وَالرَّجُلُ الضَّعِيفُ لَا يَسْتَقِيلُ بِهِ ^(١) وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ صِنَاعَتِهِ ، قَالَ كَلِيلَةُ : فَإِنَّ السُّلْطَانَ لَا يَتَوَخَّى ^(٢) بِكَرَامَتِهِ فَضْلَاءَ مَنْ بِحَضْرَتِهِ وَلَكِنَّهُ يُؤْثِرُ ^(٣) الْأَدْنَى وَمَنْ قَرَبَ مِنْهُ ، وَيُقَالُ إِنَّ مَثَلَ السُّلْطَانِ فِي ذَلِكَ مَثَلُ شَجَرِ الْكَرْمِ الَّذِي لَا يَتَعَلَّقُ بِأَكْرَمِ الشَّجَرِ إِنَّمَا يَتَعَلَّقُ بِمَنْ دَنَا مِنْهُ ، وَكَيْفَ تَرْجُو الْمَنْزِلَةَ عِنْدَ الْأَسَدِ وَلَسْتَ تَدْنُو مِنْهُ .

قَالَ دِمْنَةُ : قَدْ فَهِمْتُ كَلَامَكَ جَمِيعَهُ وَتَدَبَّرْتُ ^(٤) مَا قُلْتَ وَأَنْتَ صَادِقٌ وَلَكِنْ أَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي هُوَ قَرِيبٌ مِنَ السُّلْطَانِ وَلَا ذَلِكَ مَوْضِعُهُ وَلَا تِلْكَ مَنَزِلَتُهُ لَيْسَ كَمَنْ دَنَا مِنْهُ بَعْدَ الْبُعْدِ وَلَهُ حَقٌّ وَحُرْمَةٌ ، وَأَنَا مُلْتَمِسٌ بُلُوغَ مَكَانَتِهِمْ بِجَهْدِي ، وَقَدْ قِيلَ لَا يُوَاطِبُ عَلَى بَابِ السُّلْطَانِ إِلَّا مَنْ يَطْرَحُ الْأَنْفَقَ ^(٥) وَيَحْمِلُ الْأَذَى ، وَيَكْظُمُ ^(٦) الْغَيْظَ ، وَيَرْفُقُ بِالنَّاسِ وَيَكْتُمُ السِّرَّ ، فَإِذَا وَصَلَ

١ - لَا يَسْتَقِيلُ بِهِ : أَي لَا يَحْمِلُهُ وَلَا يَرْفَعُهُ .

٢ - يَتَوَخَّى : يَتَحَرَّى وَيَقْصِدُ .

٣ - يُؤْثِرُ : يَفْضُلُ .

٤ - تَدَبَّرْتُ : تَفَكَّرْتُ .

٥ - الْأَنْفَقَةُ : الْأَسْتِكْبَارُ .

٦ - كَظَمَ الْغَيْظَ : أَمْسَكَهُ .

إلى ذلك فقد بلغ مُرادَه ، قال كَلِيلَةُ : هَبْكَ ^(١) وصدت إلى الأسدِ
فما توفيقكَ عندهُ الذي ترُجو أن تنالَ بهِ المنزلةَ والخطوةَ لديه ،
قال دِمْنَةُ : لو دَنَوْتُ مِنْهُ وعَرَفْتُ أخلاقه لَرَفَقْتُ في مُتَابَعَتِهِ وقلةِ
الِخلافِ لَهُ وإذا أَرَادَ أمراً هو في نفسه صوابٌ زَيَّنْتُهُ لَهُ وصَبَّرْتُهُ
عليه وعَرَفْتُهُ بما فيه من النِّفَعِ والخَيْرِ وشَجَعْتُهُ عليه وعلى الوُصولِ
إليه حتى يزدادَ بهِ سروراً ، وإذا أَرَادَ أمراً يُخَافُ عليه ضَرُّهُ
وَشَيْنُهُ ^(٢) بَصَّرْتُهُ بما فيه من الضَّرِّ والشَّيْنِ وأَطْلَعْتُهُ على ما في تركِهِ
من النِّفَعِ والزَّيْنِ بحسَبِ ما أُجِدُّ إليه السَّيْلَ ، وأنا أرُجو أن أزدادَ
بذلكَ عندَ الأسدِ مكانةً ويرى مِنِّي ما لا يراهُ منْ غَيْرِي ، فإنَّ
الرَّجُلَ الأديبَ الرِّفِيقَ ^(٣) لو شاءَ أنْ يُبْطِلَ حَقًّا أو يُحِقَّ باطلاً
لَفَعَلَ كالمُصَوِّرِ الماهرِ الذي يُصَوِّرُ في الحَيَطانِ صُوراً كأنها خارجةٌ
وليسَتْ بخارجةٍ وأخرى كأنها داخلةٌ وليسَتْ بداخلةٍ ، فإذا هو
عَرَفَ ما عِنْدِي ، وبأنَ لَهُ حُسْنَ رَأْيٍ وَجُودَةً فِكْرِي ، التَّمَسَّ
إِكْرَامِي وقرَّبني إليه .

١ - هَبْكَ : هب انك .

٢ - شَيْنُهُ : عيبه .

٣ - الرِّفِيقُ : من الرفق وهو اللطف واللين .

قال كليله : أما إن قلتَ هذا أو قلتَ هذا فإني أخافُ عليك من
السلطان فإنَّ صُحبتهُ خطرَةٌ ، وقد قالتِ العلماءُ إنَّ ثلاثة لا يجتريءُ
عليهنَّ إلاَّ أهوجُ ولا يَسْلَمُ منهنَّ إلاَّ قليلٌ ، وهي صُحبةُ السلطانِ
واثتمانُ النساءِ على الأسرارِ ، وشربُ السُّمِّ للتَّجربةِ ، وإنما شبَّهَ العلماءُ
السلطانَ بالجبلِ الصَّعبِ المرتقى ^(١) الذي فيه الثَّمارُ الصَّيبةُ والجواهرُ
النَّفيسةُ والأدويةُ النافعةُ وهو مع ذلكَ مَعْدِنُ السَّباعِ والنُّمورِ
والذئابِ وكلِّ ضارٍّ مَخُوفٍ ، فالارْتِقاءُ إليه شديدٌ والمقامُ فيه
أشدُّ ، قال دمنه : صدقتَ فيما ذكرتَ غيرَ أنه من لم يَرَكِبِ الأهوالَ
لم يَنَلِ الرِّغائبَ ومن تركَ الأمرَ الذي لعلهُ يبلُغُ فيه حاجتَهُ هينةً
ومخافةً لما لعلهُ أن يتوقَّاهُ فليسَ ببالغٍ جسيماً ، وقد قيلَ إنَّ
خِصالاً ثلاثةً لن يَسْتَطِيعَها أحدٌ إلاَّ بمَعُونَةٍ منَّ علوُّ همةٍ وعظيمُ
خطرٍ منها صُحبةُ السلطانِ وتجارةُ البحرِ ومُناجزةُ العدوِّ ، وقد قالتِ
العلماءُ في الرَّجُلِ الفاضلِ الرَّشيدِ إنه لا ينبغي أن يُرى إلاَّ في مكانينِ
ولا يَلِيقُ به غيرُهما إمَّا مع الملوكِ مُكرِّماً أو مع النَّسَّاكِ مُتَعَبِّداً ،
كالفيلِ إمَّا جِمالُهُ وبهاوئُهُ في مكانينِ إمَّا أن تراهُ وحشياً أو مرَّكباً
للملوكِ ، قال كليله : خارَ اللهُ لك ^(٢) فيما عَزَمْتَ عليه .

١ - المرتقى والمرقي : موضع الرقي .

٢ - خار الله لك : أي جعل لك فيه الخير .

ثُمَّ إِنَّ دِمْنَةَ أَنْطَلَقَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى الْأَسَدِ فَعَفَّرَ وَجْهَهُ ^(١) بَيْنَ يَدَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ الْأَسَدُ لِبَعْضِ جُلَسَائِهِ : مَنْ هَذَا : فَقَالَ : فَلَانُ ابْنُ فَلَانٍ ، قَالَ : قَدْ كُنْتُ أَعْرِفُ أَبَاهُ ، ثُمَّ سَأَلَهُ أَيْنَ تَكُونُ ؟ قَالَ : لَمْ أَزَلْ مُرَابِطاً بِيَابِ الْمَلِكِ رَجَاءً أَنْ يَحْضُرَ أَمْرٌ فَأُعِينَ الْمَلِكَ فِيهِ بِنَفْسِي وَرَأْيِي ، فَإِنَّ أَبْوَابَ الْمُلُوكِ تَكْثُرُ فِيهَا الْأُمُورُ الَّتِي رُبَّمَا يَحْتَاجُ فِيهَا إِلَى الَّذِي لَا يُؤْبَهُ ^(٢) بِهِ وَلَيْسَ أَحَدٌ يَصْغُرُ أَمْرُهُ إِلَّا وَقَدْ يَكُونُ عِنْدَهُ بَعْضُ الْغَنَاءِ وَالْمَنَافِعِ عَلَى قَدَرِهِ حَتَّى الْعُودُ الْمُلْقَى فِي الْأَرْضِ رُبَّمَا نَفَعَ فَيَأْخُذُهُ الرَّجُلُ فَيَكُونُ عُدَّتَهُ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ .

فَلَمَّا سَمِعَ الْأَسَدُ قَوْلَ دِمْنَةَ أَعْجَبَهُ وَظَنَّ عِنْدَهُ نَصِيحَةً وَرَأْيَا فَأَقْبَلَ عَلَى مَنْ حَضَرَ فَقَالَ : إِنَّ الرَّجُلَ ذَا النَّبْلِ ^(٣) وَالْمَرْوَةَ يَكُونُ خَامِلَ الذِّكْرِ مُنْخَفِضَ الْمَنْزِلَةِ ، فَتَأْتِي مَنَزِلَتُهُ إِلَّا أَنْ تَشُبَّ وَتَرْتَفِعَ كَالشَّعْلَةِ مِنَ النَّارِ يَضْرِبُهَا صَاحِبُهَا وَتَأْتِي إِلَّا ارْتِفَاعاً .

فَلَمَّا عَرَفَ دِمْنَةَ أَنَّ الْأَسَدَ قَدْ عَجِبَ مِنْهُ ، قَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّ رَعِيَةَ الْمَلِكِ تَخْضَرُ بِأَبْهَرِ رَجَاءٍ أَنْ يَعْرِفَ مَا عِنْدَهَا مِنْ عِلْمٍ وَافِرٍ ،

١ - عفر وجهه : مرغه .

٢ - يؤبه : من إبه به أيها فظن أو نسي ثم تظن له .

٣ - النبيل : الذكاء والنجابة .

وقد يقالُ إِنَّ الفضلَ في أمرَيْنِ : فضلُ القاتِلِ على المُقاتِلِ والعالمِ على العالمِ ، وإنَّ كثرةَ الأعوانِ إذا لم يكونوا مُختَبَرِينَ رُبَّمَا تكونُ مَضَرَّةً على العملِ ، فإنَّ العملَ ليسَ رَجَاوُهُ بكثرةِ الأعوانِ ولكنْ



دمنة بين يدي الاسد (ش ٢٥)

بِصالحِي الأعوانِ ، ومثْلُ ذلكَ مثْلُ الرُّجُلِ الَّذِي يَحْمِلُ الحَجَرَ الثَّقِيلَ فَيَقْتُلُ بِهِ نَفْسَهُ وَلَا يَجِدُ لَهُ ثَمَنًا ، والرُّجُلُ الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَى الجُدُوعِ لَا يُجِزُّهُ^(١) الْقَصَبُ وَإِنْ كَثُرَ ، فَأَنْتَ الْآنَ أَيُّهَا الْمَلِكُ حَقِيقٌ أَلَّا تَحْقِرَ مَرْوَةَ أَنْتَ تَجِدُهَا عِنْدَ رَجُلٍ صَغِيرٍ الْمَنْزِلَةِ فَإِنَّ

١ - الجذوع ج جذع . وهو ساق النخلة . ويجزئه : يكفيه .

الصغير رُبمَا عَظُمَ كَالْعَصَبِ الَّذِي يُؤْخَذُ مِنَ الْمَيْتَةِ فَإِذَا عَمِلَتْ مِنْهُ الْقَوْسُ أَكْرَمَ فَتَقْبِضُ عَلَيْهِ الْمُلُوكُ وَتَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي الْبَأْسِ وَاللَّهُو .

وَأَحَبُّ دِمْنَةٍ أَنْ يُرِيَ الْقَوْمَ أَنَّ مَا نَالَهُ مِنْ كَرَامَةِ الْمَلِكِ إِنَّمَا هُوَ لِرَأْيِهِ وَمُرُوءَتِهِ وَعَقْلِهِ لِأَنَّهُمْ عَرَفُوا قَبْلَ ذَلِكَ أَنَّ ذَلِكَ لِمَعْرِفَتِهِ أَبَاهُ ، فَقَالَ : إِنَّ السُّلْطَانَ لَا يَقْرُبُ الرِّجَالَ لِقُرْبِ آبَائِهِمْ وَلَا يُبْعِدُهُمْ لِبُعْدِهِمْ وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يَنْظُرَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ بِمَا عِنْدَهُ لِأَنَّهُ لَا شَيْءَ أَقْرَبُ إِلَى الرَّجُلِ مِنْ جَسَدِهِ وَمِنْ جَسَدِهِ مَا يَدْوِي ^(١) حَتَّى يُؤْذِيَهُ وَلَا يَدْفَعُ ذَلِكَ عَنْهُ إِلَّا بِالْدَّوَاءِ الَّذِي يَأْتِيهِ مِنْ بَعْدُ .

فَلَمَّا فَرَغَ دِمْنَةٍ مِنْ مَقَالَتِهِ هَذِهِ أُعْجِبَ الْأَسَدُ بِهِ إِعْجَابًا شَدِيدًا وَأَحْسَنَ الرَّدَّ عَلَيْهِ وَزَادَ فِي كَرَامَتِهِ ، ثُمَّ قَالَ الْمَلِكُ لْجُلَسَائِهِ : يَنْبَغِي لِلْسُّلْطَانِ أَلَّا يَلْبِغَ فِي تَضْيِيعِ حَقِّ ذَوِي الْحَقُوقِ ، وَالنَّاسُ فِي ذَلِكَ رُجُلَانِ : رَجُلٌ طَبْعُهُ الشَّرَاسَةُ فَهُوَ كَالْحَيَّةِ إِنْ وَطَّئَهَا ^(٢) الْوَاطِي فَلَمْ تَلْدَغْهُ لَمْ يَكُنْ جَدِيرًا أَنْ يَغْرَهُ ذَلِكَ مِنْهَا فَيَعُودَ إِلَى وَطَّئِهَا ثَانِيًا فَتَلْدَغَهُ ، وَرَجُلٌ أَصْلُ طَبَاعِهِ السَّهُولَةُ فَهُوَ كَالصَّنْدَلِ ^(٣) الْبَارِدِ الَّذِي

١ - يدوي : يصديه داء .

٢ - وطئها : داسها .

٣ - الصندل : نوع من الخشب .